

تفسير ابن كثير

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالا متسجirin باء تعالٰى شاكيين إليه : { إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى } يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن يفرط يعجل وقال مجاهد : يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى : يعتدي { قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى } أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علي من أمركم شيء واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري وأنا معكما بحفظي ونصري وتأبيدي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : لما بعث الله موسى إلى فرعون قال : رب أي شيء أقول ؟ قال : قل هيا شراها قال الأعمش : فسر ذلك : أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء إسناده جيد وشيء غريب { فأتياه فقولا إنا رسولا ربك } قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال : مكثا على بابيه حينما لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد . وذكر محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتزمان الإذن عليه وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترء أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعبه ويضحكه فقال له : أيها الملك إن على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم أن له إلها غيرك أرسله إليك قال بابي ؟ قال : نعم قال : أدخلوه فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال : إني رسول رب العالمين فعرفه فرعون وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلتئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلموا عليه فقال له موسى : يا هارون إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرك أن تعاونني قال : افعل ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا ف ضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال : من يجترء على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنونا يقول إنه رسول الله فقال علي به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه .

وقوله : { قد جئناك بآية من ربك } أي بدلالة ومعجزة من ربك { والسلام على من اتبع الهدى } أي والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله [بسم الله الرحمن الرحمن من محمد رسول الله] إلى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرًا مرتين [وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا صورته من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فإني قد أشركتك في الأمر فلك المذر ولي الوبر ولكن قريشا قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم [من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين] ولهذا قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون { والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى } أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى : { فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى } وقال تعالى : { فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب وتولى } وقال تعالى : { فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى } أي كذب بقلبه وتولى بفعله